الرجل العادل

بقلم الاستاذ عبد الفتاح الشرنجاوى

أستاذ الآداب بالمعهد الازهرى

جلس القضاة للفصل فى قاعة الحق والعدالة ، ووقف أمامهم خصمان ، يتهم أحدهما الآخر بالسرقة والاجتراء عليه ، ويدلى بالبراهين ويسوق الأدلة وأخيراً انبرى واحد من القضاة وقال يخاطبه :

— « كفى أيها الرجل فقد آمنا بحقك ونحن لابد آخذه لك من خصمك ومتصرك عليه ، ومعاقبه على ما جنت يداه العقاب الغليظ »

— كلا أيها القاضى ، ليس هـذا أوان العقاب

— بل هـذا أوانه ، فقد وقفنا على روايتك الصادقة

— نعم أيها القاضى وقفتم على روايتى ، ولكنكم لم تقفوا على رواية خصمى ، ولن يستقيم ميزان العدالة إلا إذا سمحتم له بالدفاع عن نفسه »

ذلك ما يقوله (أرستيد) ، فهو ينسى العداء والخصومة ، ويأبى إلا أن يستقيم ميزان العدالة ، هذا هو الرجل الذى يلقبه الأثينيون (بأبى العدالة) ، وهو لعمرى جدير بهذا اللقب ، بل إنه المثل الكامل للرجل العادل . . . إذاً فلنردد نحن فى القرن العشرين بعد الميلاد ما قاله الأثينيون فى القرن الخامس قبل الميلاد . . . . (أرستيد العادل) وليبق ذلك اللفظ السماوى الرهيب مقترناً باسم أرستيد إلى ما يشاء الله .

* * *

وحين هاجم الفرس بلاد الأغريق وخرج الأثينيون لقتالهم فى (مراتون) تناوب الزعماء القيادة فكان يخرج كل منهم على رأس الأثينيين يوما ، فلما جاء يوم (أرستيد) تخلى عن حقه فى القيادة لقائد آخر أكفأ منه ، وقال فى ذلك كلمته الباقية على الزمان :

« إن خير أثينا وصالحها من وراء الانتصار لأحب إلى نفسى من إرضاء غرورى من وراء القيادة »

وتحت راية ذلك القائد الآخر كتب للأثينيين النصر المبين — أفلتك أيها القارئ تؤمن معى بأن (أرستيد) كان عادلا ، بل كان مثلا كاملا للتضحية الشخصية فى سبيل الصالح العام .

والآن أسوق لك على سبيل الموازنة حكاية جندى أثينى من حملة المشاعل ، صادف فرسيا مختبئاً بعد المعركة ، وظن الفارسى أن (حامل المشعل) أمير خطير ، فركع وقدم الخضوع له ، وجاوز ذلك إلى إرشاد حامل المشعل إلى مكان كنز تحت خلفه الفرس من ورائهم ، فاحتفر الكنز فإذا كومة هائلة من الذهب ، وكان الفرس بعد هربهم قد تركوا الغنائم الكثيرة من خيام وملابس وفضة وذهب ، وأبقى الاغريق أرستيد للمحافظة على هذه الغنائم وانصرفوا هم لمطاردة فلول أعدائهم ، ذلك لاعتقادهم فى أمانة الرجل ، وإعلامهم بأنه لا يطمع فى شىء لنفسه ، ويقينهم بأنه سيوزع الغنائم على الأثينيين جميعاً .

وكان (حامل المشعل) يعلم أن الواجب الوطنى يحتم عليه أن يقدم الذهب الذى أرشده إليه الفارسى لارستيد ، كي يضمه إلى بقية الغنائم ، ولكنه نسى الواجب ، ونسى الوطن ، ونسى كل شىء إلا نصيبه من متاع هذه الدنيا ، والبلاء فى الحياة إنما يسوقه الحرص والشره فقتل الفارسى واستحوذ على الذهب لنفسه ، وعز عليه أن يكون له شريك من بنى وطنه .... ذلك الجندى الخائن يقف فى قطب ، وأرستيد فى القطب الآخر ، وأنت بالموازنة يتبين لك مقدار ما يضحى أرستيد فى سبيل الصالح العام .

٥ ٥ ٥

وأنت أيها القارىء لا شك عليم بأن الديموقراطية الأثينية بلغت أقصى حدود الفوضى فكان الدهماء يصوتون فى شئون الحكم ، ويتقلدون عن طريق الاقتراع مناصب الدولة الكبيرة ، وحدث مرة أن رغب الأثينيون فى نفى الأشخاص الذين تصوت الأغلبية بإبعادهم عن البلاد ، وأعدوا ليوم التصويت عدته ، فاجتمعوا فى السوق العامة حيث أقيمت حلقة عليها حراجز ، يلقى الناس بأصواتهم فيها ، وكان كل واحد يكتب اسم الشخص الذى يرغب فى إبعاده على قطعة من الخزف أو الصدف ، ثم يلقى بها فى هذه الحلقة المحاطة بالحراجز ، وخرج أرستيد ليمضى روحاته وغدواته ، فلقيه فى الطريق آتينى يحمل فى يده قطعة من الصدف ، استوقفه وقال يخاطبه :

— هل تستطيع الكتابة ياسيدى ؟

— نعم أستطيع

— إذاً أرجوك أن تكتب لى على هذه القطعة اسم الرجل الذى أريد إبعاده عن أثينا لأنى لا أستطيع الكتابة

— وما تطلب وما اسم الرجل ؟؟

— اسمه أرستيد

— وهل أصابك ضر على يد أرستيد؟

— لا ، ولكن يضايقنى أن أسمع الناس فى كل وقت يلقبونه (العادل) ، والحقيقة ياسيدى ، أن هذا أدخل فى روعى أن الرجل لا بد أن يكون محتالا مغروراً شامخاً بأنفه إلى السماء

وكتب أرستيد اسمه على قطعة الصدف وتركها بين يدى الرجل وانصرف لحاله ، وذهب الرجل إلى حيث ألقى بصوته .

ثم كانت عملية فرز الأصوات ، فإذا ستة آلاف قطعة تحمل اسم (أرستيد) ، ذلك لأن الكثيرين كانوا يعتقدون أن الرجل بمبالغته فى إحقاق الحق وإقرار العدالة ، قد أصبح رجلا عنيفاً يمثل جبلا انتفض ... !!

هكذا أنكرت أثينا رجلها العادل (أرستيد) ، وهكذا شاءت الديموقراطية الظالمة ! !!!

فخرج الرجل وعيناه تفيضان بالدموع ! ! !

◦ ◦ ◦

ولكن لم تلبث الحرب أن قامت من جديد ، وسير الفرس سفينهم لقتال الأغريق ، ورأى الأثينيون أنهم في حاجة إلى أرستيد ، يقودهم إلى ساحات الانتصار ، فرجع الرجل بعد ثلاث سنوات قضاها فى الاغتراب والنفى ، وقاد الأساطيل فى حرب بحرية هائلة انتصر فيها الأثينيون

كل هذا وأرستيد فوق ما اشتهر به من الأمانة والعدالة ، زاهد فى مال الدولة ، قانع بما يسد رمقه ويبقى عياله ، بينما (حامل الشمل) الذى أثينا على ذكره يستمتع بما استحوذ عليه من ثروة هائلة ، فاتهمه بعض أعدائه بتهمة الخيانة لمصالح العام ، وأسهبوا فى تقبيح فعاله ، وألحوا عليه بالتعنيف ، فقالوا إنه من أقرباء أرستيد العادل ، وإنه على ثروة عظيمة ، ورفاهة بالغة ، ونعمة مقيمة ، بينما قريبه أرستيد لا يجد قوت يومه ويعيش وعياله فى مسكن متواضع أليس من واجبه أن يمد إلى قريبه أرستيد يد المعونة ؟ ؟

ورأى القضاة أن يسألوا أرستيد ، فجىء به وسئل عن صحة ما عزاه الخصوم لقريبه حامل الشمل ، فأجاب أرستيد :

« لست أقر أيها القضاة شيئا من ذلك ، وقريبى لا جريرة له فى فقرى ، فأنا رجل أردت أن أكون فقيرا بمحض مشيئتى ، وإنى لست أطلب ما يزيد على كفايتى ، وأؤكد لكم أنى أجد مجدى وراحة ضميرى فى فقرى وأمانتى وعدلى »

ولما مات (أرستيد) لم يخلف مالا للأنفاق على مأتمه ، ذلك رغم أنه كان قائداً للجيش وأميرا للبحر ، ومشرعاً للدولة الأثينية ، فاكتتب الأثينيون بمال أنفقوا منه على مأتمه ،

وأقاموا له نصبا يخلد ذكره ، ومنحوا بناته مالا يصاحبن به أمرهن ، وأقطعوا ابنه أرضا كثيرة الشجر والثمر ، وأمدوه بقدر كبير من الفضة ، وبقى أرستيد بعد موته علما فى تاريخ قومه ، وموضعاً لفخارهم واعتزازهم ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

عبد الفتاح السيد مجاوى

الطبيعة

نشر الظلام على القرية ظلاله الكثيفة . فخفتت الحركة وسكن المكان . اللهم إلا أصوات حدوث من فم الطبيعة ترتل بها أناشيد السرور باستقبال ملاك الليل الصامت .

الضفادع من جداول الماء تدق ، وأوراق الأشجار تداعبها نسمات الليل : فترقص وتصفق . والطيور فوق الأفنان تصيح وتغرد ، بينما الفلاح قد أزاح عن كتفيه رداء عمل النهار المتعب . وسار يخطو متناقلا إلى داره يترنم بأغنيات ساذجة نقية لا تصدر إلا من قلوب خلت من الهموم وبعدت عن الأحزان .

ولا غرو فهى أفئدة الفلاحين التى لم تدنسها أوضار المدنية الكاذبة ولم تصل إليها شرورها ومفاسدها . خفتت الأصوات ونامت الطيور وسكب الليل مداده الأسود على صفحة النهار البيضاء . فغمرها ولم يبق إلا وسوسة نسيم الليل الناعس وهو يهمس فى الآذان قائلا : قم يابن آدم ومتع النفس بجمال خلق الله .

هذا هو الحال حين كنت أنا وصديق لى نركب عربتنا متفردا عن القرية يؤدى إلى حيث الخلاء الهادىء والسكون الشامل . فنتخذ من العود وقيثارة تضرب على أوتارها أقواس الخيال وتسبح بعقولنا فى ميدان الطبيعة الواسع ونتخذ من تلك السعة صفحات نخط عليها مناجاتنا للطبيعة

أيتها الطبيعة : سرك فى جمالك . حسنك فى دلالك . عظمتك فى جبالك . قوتك فى خلالك خالدة أبد العصور

أنت تبكين وتضحكين . أنت تحيين وتفنين . أنت تظلمين وتنيرين . أنت سلوة الحيين فاظهرى آى النور

إخلعى ثوب الظلام . بددى هذا الغمام . وانشرى نور السلام . ودعى الناس نيام وابعدى عنا العناء واشملينا بالحبور

حقا كانت الطبيعة فى أحسن رداء يمكن أن ترتديه وفى أفتن حلة يمكنها أن تتزين بها . هى الطبيعة التى صقلت عقول الشعراء فنظموا لنا أوصافها شعرا وهى التى أوحت إلى (بتهوفن) بأنغام شجية تسلب عقول الآدميين ، وتسرى فى أجسادهم سريان تيار الحب فى قلوبهم . وهى تلك الأرجوزة القديمة التى نرددها وسنظل نرددها حتى انتهاء الأجل ؟

عبد الحليم عبد الباقى
مدرس بعليا مبادئ اللغة بالمنيا